

سياسة الاستيطان الأوروبي في الجزائر (1830-1962).

~~~~~ د. حكيم بن الشيخ \*

تقديم: كتب "محمد الشريف ساحلي" قائلا: «من الغريب أن أول من اهتم بأرض الجزائر ليسوا معمرين لكنهم التجار المضاربون، والمدمنون على التهريب».

تناولت من خلال هذه الدراسة نموذجا من سياسة الاستيطان الأوروبي في الجزائر في سياق مقارنة بين ما كان يتمتع به الكولون من امتيازات داخل الجزائر واستيلائهم على كل الخيرات بينما ظل المسلمون الجزائريون تتجاذبهم المشاكل والأمراض والحرب، خاصة لما سعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى تطبيق قوانين استثنائية تحد من حرية هؤلاء وامتيازاتهم، وعليه فإن التحليل المقارن في واقعه تضمن دراسة نظم مفردة في مجتمعات أو طبقات مختلفة في المجتمع الواحد.

فلا غرابة أن نجد أغلب الوثائق الفرنسية وبخاصة التي كتبها العسكريون تعبر اهتماما منقطع النظير للمجتمع والتقاليد والعادات الجزائرية بما في ذلك طبيعة هذا المجتمع العرقي والجنسي، رغم أن الباحثين العسكريين في السوسيولوجيا وعلوم النفس جاءت كتاباتهم هزيلة وقليلة، ولعل من أسباب اهتمام السلطات العسكرية بهذا المجال هو البحث عن كفاءات وآليات التحكم والإخضاع والتركيعة بمنهج دقيقة لجعل هذه الأمة تنصاع وتنبطح لإرادتها وتكون إمعة تآمر بأمرها، فيسهل التحكم في هذا المجتمع حين يتم العثور على نقاط الضعف الكامنة لديه.

- طبيعة الاستيطان الأوروبي في الجزائر: كان الأوروبيون يمثلون حوالي 17% من مجموع السكان القاطنين بالجزائر، وكانوا يتألفون من عناصر وأجناس مختلفة، فالفرنسيون إلى سنة 1936م كان تعدادهم 286.252 نسمة، تعود أصولهم إلى حوض البحر المتوسط مع تأثيرات أوروبا الشرقية لا سيما ما يتصل بعناصر الفرنك، الألزاس، الكونتوا والعنصر الكورسيكي،

\* أستاذ محاضر قسم "أ" في التاريخ الحديث والمعاصر - قسم التاريخ - جامعة الدكتور يحيى فارس - المدية.

وقد اعتقد هؤلاء في الدين المسيحي وفق المذهب الكاثوليكي، بالإضافة إلى الأقلية التي كانت تدين بالديانة اليهودية.

وتشير الدراسات الأرشيفية أن الإنسان الأوروبي الذي حكم الجزائر طيلة الاستعمار تميز بصفات ومزاج مغاير لما كان موجودا أو سائدا في فرنسا نفسها<sup>(1)</sup>. حيث كتب مؤرخون وجغرافيون حول طبيعة السكان في مدينة الجزائر، التي كان موجود بها المستوطنون بشكل كبير وقالوا إن تعداد سكانها كان يناهز 70 ألف نسمة سنة 1830م، أما تعداد منازلها فقد قارب 4000 منزل، بينما قال مؤرخون آخرون أن تعداد سكانها كان حوالي 30 ألف نسمة موزعين في الشكل التالي:

الأتراك والمور والكرغلة ب 16 ألف، اليهود: 7000، الأمازيغ: 2000، الزنوج: 1200 ن، ميزاب: 600 ن، بسكرة: 400 ن.<sup>(2)</sup>

بينما لم يكن يتعدى الأوروبيون إلى مطلع القرن العشرين 612 ألف في مقابل 4.5 مليون نسمة من الأهالي، وهذا التطور في نمو سكان المعمرين كان لا يعكس حقيقة 70 سنة من الاستعمار<sup>(3)</sup>، ويعود أسباب هذا التباين بين السكان المحليين والدخلاء الأوروبيين إلى شدة مقاومة الأهالي لحركة التغير المفاجئة التي كان هدفها طمس معالم الكيان الجزائري الأصيل.

وأصل المستوطنين أجانب عن الجزائر وهم مختلفون عرقيا، وكان يشدهم إلى بعضهم البعض طبائع الاحتلال والاستيطان والعنصرية، وقد كان لهم ثقة كبيرة في تفوقهم على المسلمين الجزائريين<sup>(4)</sup>، ومصدر هذا التفوق هو أن الجزائر أخضعت بالقوة العسكرية وفرضت عليها قوانين الأجنبي السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية... إلخ، ومنه فهم سادة هذا الوطن وقادته، وأما العنصر الجزائري المسلم حسب تعبير المؤلفات الاستعمارية فهو ضعيف، تابع، كاذب، سارق ورافض لكل تقدم أو تجديد، أو هو بمثابة الكعكة سهل دجها بسرعة، ولا يمكنه أن يرقى إلى مرتبة السيد المستوطن.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن هذا الهجين من الأجناس الذي جاء غازيا ومستوطنا ومستبدا، قد أُلّف بينهم الدين والعصية للمسيحية وكذا العناية التي لقوها من قبل الحكومة الفرنسية، والجمعيات الخيرية والبنوك والمؤسسات العامة، حتى أنه لم يعد بينهم فقيرا أو محتاجا.

وهذا ما نلاحظه مثلاً في اجتماع الفرنسيين بالإسبان والإيطاليين، فقد كان اجتماعاً فرضته الضرورة اللاتينية والديانة المسيحية والروح العنصرية، وصار بعد ذلك مجتمعاً فرنسياً واحداً بعدما تجنست هذه الأقوام بالجنسية الفرنسية، وأصبح لها موطناً واحداً هو الجزائر، ويضيف السيد يكونو (Yacono) أن العناصر التي عمّرت الجزائر وعاصمتها، بعضها جاء مع الفرنسيين سنة 1830م، والآخر كان موجوداً قبل هذا التاريخ لاسيما بعد حملة إكسموث على الجزائر سنة 1816م، ففيهم الدبلوماسيون والتجار وكان عددهم بمدينة الجزائر عندئذ لا يتجاوز 100 فرد.

| الفترة    | الأوروبيين | الفرنسيين | الأجانب |
|-----------|------------|-----------|---------|
| 1851-1856 | 22 %       | 40 %      | 4.3 %   |
| 1856-1861 | 19.7 %     | 21 %      | 18.1 %  |
| 1861-1866 | 12.6 %     | 8.8 %     | 19.0 %  |
| 1866-1872 | 12.9 %     | 6 %       | 20.3 %  |

جدول يمثل نسب الكولون في الجزائر بمطلع الاحتلال ما بين (1851م-1872م)<sup>(5)</sup>: نلاحظ من الجدول أعلاه نمو وتزايد في تعداد الكولون في الجزائر رغم أن نسبهم كانت أغلبها من جنسيات مختلفة على حساب الفرنسيين، وللإشارة فإن البقية المتبقية ممن عمروا الجزائر كانوا كذلك من السود، الذين سخرُوا لأعمال الصخرة والحروب.

أ- تعريف الهجرة: «هناك عنصران لهما أهميتهما في نجاح الهجرة الطبيعية أو غير الطبيعية هما: عنصر الطرد وعنصر الجذب، فالجماعة المهاجرة من منطقة ما، لا بد أن هناك دوافع حقيقية دفعت بها إلى الهجرة كأن تكون كوارث طبيعية أو مجاعة أو عدم استقرار سياسي، أو فقر اقتصادي تعانیه أو غير ذلك من دوافع.

أما عنصر الجذب فهو خاص بالمنطقة المستقبلية للمهاجرين، يتعلق بمحاجات أساسية يفتردها المهاجر من موطنه الأصلي ويجدها موفرة في البلد الجديد، الذي توجه إليه أو أن عوامل الطرد في الوطن الأصلي للمهاجر تقابلها عوامل جذب مناقضة لها في البلد أو المنطقة التي تتم الهجرة إليها»<sup>(6)</sup>.

وعادة ما تكون القوى السياسية هي التي تخطط وتنظم لعملية الهجرة، سواء كانت جماعية أم فردية، لأنها في النهاية تحقق أهدافاً مشتركة لتلك القوى التي كانت الباعث الحقيقي وراء

عملية الاستيطان. وللإستيطان بكل أشكاله مخاطر ديموغرافية وسياسية واجتماعية واقتصادية على البلد المستهدف بالهجرة، والتاريخ حافل بتجارب الدول والشعوب التي تغيرت بنيتها وشخصيتها وثقافتها بالهجرة، لأننا لا ندري طبيعة المهاجر ومستواه الفكري والعقائدي<sup>(7)</sup>، وعادة يمر الإستيطان بثلاث مراحل أساسية تمثل حلقات في سلسلة واحدة وهي الهجرة الإستيطانية والاستعمار الإستيطاني والدولة الإستيطانية.

لقد أدت السياسة الفرنسية في الجزائر في الأربعينيات من القرن التاسع عشر، إلى زيادة عدد المستوطنين الفرنسيين بشكل ملحوظ فقد كان عدد المستوطنين 28 ألف نسمة سنة 1840م ثم قفز هذا الرقم إلى 109 ألف سنة 1848م. ولم يقتصر الاستيلاء على أراض معينة بل شمل أراضي الدولة والأوقاف والأهالي، وذلك بموجب مراسيم صدرت أهمها مرسوم 1845م<sup>(8)</sup> الذي نص على حق السلطات الفرنسية في صادرة أراضي القبائل (العاصية) الثائرة ضد سياسة الإستيطان وبهذه الطريقة تم الاستيلاء على معظم الأراضي الجزائرية الخصبة<sup>(9)</sup>. وهذا نموذج من تلك القوانين في عهد نابليون الثالث (1848م - 1870م)، حيث صدر مرسوم في عام 1864م جعل الشراء الحر وسيلة لانتقال الملكية في الجزائر وبهذا وضع نابليون حدا لسياسة الاستعمار الرسمي، وفتح المجال أمام الاستعمار الحر وبذلك أطلق يد الرأسمالية والإقطاعيين الفرنسيين والشركات الفرنسية يعثون بملكية الأرض واستثمارها وتسويق منتجاتها.

بدأت سياسة فرنسا تأخذ شكلا أكثر حدة وتصييدا في هجرة الفرنسيين، إلى الجزائر في السبعينيات من القرن التاسع عشر وكذلك خلال العقود التي تلتها حيث أصبحت خطة الإستيطان مدروسة وجماعية ومرفقة بتشريعات فرنسية لحماية المستوطنين ودعمهم والجدير بالذكر أن الحكومة الفرنسية قد خصصت جزءا كبيرا من الضرائب الحربية التي كانت تفرضها على القبائل الثائرة والرافضة لسياستها.

والإستيطان، لإنفاقها على عمليات التعمير الفرنسي الجديدة وارتفع بذلك عدد المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين في الجزائر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى 376 ألف نسمة، في مقابل ارتفاع نسب الهكتارات المسيطر عليها من قبل الكولون، وتزايد نسب بطالة المسلمين الجزائريين وهجرتهم من أراضيهم.

ب- هدف الهجرة: لقد كان من بين أهداف الاستيطان الفرنسي تحقيق الأمن الغذائي للعناصر الوافدة وبخاصة الحبوب حيث كانت تشكل مادة استراتيجية وهدفا كانت تنشده كل من فرنسا والدول الغربية في ظروف السلم والحرب<sup>(10)</sup>.

أضف إلى ذلك رغبة فرنسا في ترجيح كفة المعمر الأوروبي بتمكينه عدديا حتى تصبغ ثقافة وتقاليد وحضارة المنطقة بالصبغة القومية للعنصر الجديد، مما يؤدي طبيعيا إلى تراجع العنصر الأهلي.

وقد أتاح الاستيطان مجالا خصبا لاستثمار الأفراد، والشركات الرأسمالية الغربية في الجزائر عن طريق تنمية رأسمالها وتنويع استثماراتها، وربط اقتصادها بالاقتصاد الرأسمالي الغربي، فأدى ذلك إلى نمو الرأسمالية الغربية في المنطقة<sup>(11)</sup> كامتداد للوضع الاقتصادي في الغرب، ولم تكن تهدف فرنسا إلى تنمية المنطقة أو تتيح للسكان الأصليين ممارسة حقهم في اقتصاد يلبي حاجة المواطنين للمواد الأساسية ويعمل على تنميتها بل كانت تهدف إلى سد حاجة السوق في الدول الغربية وتلبية سياسات قادتها في كل الظروف<sup>(12)</sup>.

ت- مصادر قوة المستوطن: من مصادر قوة المستوطن دعامتان أساسيتان هما: الإدارة والاقتصاد.

1/- الاقتصاد: استطاع المستوطنون إخضاع الجزائر بفضل تحكمهم في إدارة الأرض وإحكام السيطرة على مواردها المختلفة، رغم قلة عددهم الذي ناهز آنذاك 250 ألف مستوطن كانوا يديرون 11 مليون هكتار من الأراضي الخصبة، ونسبة كبيرة منها كانت مخصصة لزراعة الكروم حيث أوكلت إدارتها إلى شخصيات فاعلة في الإدارة الكولونiale أمثال: السيد (Henri Borgeand)، والسيد (Abbo)، وبالإضافة إلى الأرض فقد امتلك المستوطن البنوك والمناجم والصناعة وبعض الوظائف، مع وجود طبقة عاملة تشبه في طبيعتها العنصر الأهلي.

2/- الإدارة: استطاع المستوطنون إدارة كل شؤون الجزائر بمؤسساتها الاقتصادية والثقافية والسياسية وأغلب رؤساء المجالس البلدية (المختلطة أو الكاملة الصلاحيات) كانوا رؤساء أورويين، على أن المسلم الجزائري كان عنصرا ثانويا أوكلت إليه بعض المسؤوليات (كالشواش، القايد...) <sup>(13)</sup>.

في 1871م قامت عائلات بأكملها من منطقتي الأتراس والورين بالاستقرار في مدينة الجزائر وحولها في منطقة المتيحة<sup>(14)</sup>، وفي سنة 1872م بلغ تعداد المستوطنين إلى 164 ألف

كولون، ليتعزز ب 35 ألف يهودي حينما أصبح هذا الأخير مواطنا فرنسيا بموجب قانون كريميو سنة 1870م، وفي سنة 1881م أصبح تعداد الكولون 376 ألف كولون منهم 195 ألف فرنسي، و 181 ألف نسمة من اللقيف الأجنبي، ثم أصبح سنة 1896م ب 536 ألف، فيهم 318 ألف فرنسي، و 218 ألف نسمة أجنبي<sup>(15)</sup>، وفي سنة 1901م ارتفع تعداد الكولون إلى 612 ألف كولون<sup>(16)</sup>، ثم أصبحوا سنة 1911 م 921.931 نسمة، موزعين على الشكل التالي:

- فرنسيون.

- يهود.

- متجنس.

- إسبانيون، إيطاليون، مالطيون.

استقدم الكولون أو الأقدام السوداء أساسا من المنطقة الجنوبية الأوروبية الفقيرة التي تضررت كثيرا بفعل التدهور الاقتصادي ونذكر منها:

(l'Ardèche , le Tam, la Drome, les Hautes alpes, Aveyron , corse )

( Alicante, Valence, Murcie, Catalogne, Baléares) أما الأسبان فقد جاؤوا من

- أما الإيطاليون فقد قدموا من مدن جنوبية في إيطاليا هي: كالابريا، صقلية، سردينيا، فقد شكل هؤلاء الوافدون أو (الأقدام السوداء) نماذج ثقافية وهجين لتقاليد وعادات حوض البحر الأبيض المتوسط<sup>(17)</sup> حيث اهتم الإيطاليون بعمليات البناء المختلفة (الأشغال العمومية)، بينما اشتغل المالطيون بالصيد (La pêche) وكان عددهم إلى سنة 1833م ب 1213 مالطي ثم أصبح سنة 1886م إلى 15.533 مالطي ليصبح سنة 1948م يقدر ب 214 مالطي حين تحصلوا على الجنسية الفرنسية<sup>(18)</sup>.

وقد تعلم القادمون من وراء البحر (الأقدام السوداء) بعض تقاليد السكان وعاداتهم وطريقة لباسهم، وعدّ ألبار كامى (Albert Camus)<sup>(19)</sup> الفرنسيين وحتى الآخرين من الجنسيات المختلفة أو الكولون بصفة عامة الذين ولدوا بالجزائر إلى سنة 1961م بالأندجين (les indigènes)، وترى المصادر الفرنسية أن سنة 1901م، تمثل بداية ظهور ما يسمى بالطفولة أو مرحلة الطفولة بالنسبة للشعب الجزائري من أصل أوروبي (européen) (L'enfance du peuple algérien)<sup>(20)</sup>، وأن الأوروبي باحتلاله وتعميره استطاع التأثير

والتي تغيرت في مجريات الحياة العامة بمدينة الجزائر، بما في ذلك الطراز المعماري، كما استطاع أن يغير كذلك في التركيبة البشرية للجزائريين، وتضيف الدراسات الفرنسية أنه ما بين 1900م إلى 1914م اتجه الكولون إلى بداية تشكيل جاليات بالجزائر رغم اختلافهم مع الأغلبية المسلمة. لم يصبغ الاستعمار الشعوب التي استعمرها في فلسطين أو روديسيا (إفريقيا الجنوبية) بنفس الكيفية، التي استطاع بها الاستعمار الفرنسي في بلاد المغرب العربي ولاسيما الجزائر، لأن الأوروبيين سيطروا على معظم الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وحاولوا الإقضاء بسادتهم وأجدادهم الرومان في المنطقة، الذين شيّدوا المدن والمنازل ومنحوا الأوروبي الدخيل السيادة والصدارة وملكوه في هذه الديار، ولكنهم في مقابل ذلك قد حَرَبُوا ما كان قائما وعاثوا في الأرض فسادا فشردوا وقتلوا ونكّلوا بالسكان المحليين (21).

| السنة | فرنسيون | أوروبيون آخرون |
|-------|---------|----------------|
| 1881  | 129.601 | 215.000        |
| 1891  | 195.418 | 234.000        |
| 1901  | 449.420 | 234.000        |
| 1911  | 562.931 | 359.000 (22)   |

ومن خلال هذا الجدول نبرز الآلية التي تزايد بها المعمرون في الجزائر، التي أخذت منحى خطيرة لأن هؤلاء الغرباء كانوا اليد الطويلة للإدارة الفرنسية وبل الركيزة الأساسية لفكرة فرنسة الجزائر وتحقيق فكرة الإدماج، وإذا نظرنا إلى ذلك نرى بأنهم أخذوا يتضاعفون على حساب المسلمين الجزائريين وكان لذلك أثارا سلبية فيما بعد، وقد كان لهجرة هؤلاء النازحين الغرباء عدة نتائج منها:

- 1- نشأة طبقة من الإقطاعيين الأوروبيين.
- 2- قلب التوازن الاجتماعي بين المسلمين والمستوطنين.
- 3- خلق العنصرية البيضاء.
- 4- خلق اقتصاد جزائري يخدم الاقتصاد الفرنسي الاستعماري.
- 5- محاولة فرنسة الجزائر.
- 6- تعطيل عجلة التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في الجزائر.

ث- أصول المستوطنين: يصعب تحديد مفهوم واحد للاستيطان أو المستوطن لتباين المصادر والمراجع، وقد ورد تعريفه في معاني وتصنيفات كثيرة منها فرنسيون أصليون، أوروبيون، فرنسيون غير مسلمين، الأقدام السوداء... الخ.<sup>(23)</sup>

وقد بلغ تعداد المستوطنين في الجزائر 984 ألف نسمة سنة 1945م أي ما نسبته 10.1%<sup>(24)</sup>، حيث أخذت نسبتهم في التراجع والانخفاض بعدما كانت 1.071.950 نسمة في سنة 1935م، ومن أسباب ذلك ضعف الإنجاب لدى الأوروبيين وتراجع حركة الهجرة من أوروبا إلى الجزائر في الثلاثينيات من القرن الماضي، ويمكن تصنيفهم في الشكل التالي:

- 1- مستوطنون فرنسيون: وأصلهم من ( الألزاس واللورين، من الألب وكورسيكا ) نسبتهم 11% من مجموع سكان الجزائر أي 400 ألف نسمة كانوا يتركزون في العاصمة ومتيحة<sup>(25)</sup>.
- 2- مستوطنون إسبان: وهم من أصل متوسطي استفادوا من قانون الجنسية لسنة 1889م الذي منحهم حق التمتع بالجنسية الفرنسية لأنهم ولدوا بالجزائر، وقد احتفظ هؤلاء بلغتهم الأم وبلغ تعدادهم 36.060 فرد سنة 1954م.

- 3- مستوطنون إيطاليون ومالطيون: وهم كذلك من أصل متوسطي بشرقهم بيضاء عاملهم السيد الفرنسي باحتقار وازدراء لأنهم كانوا شديدي المطالبة بالجنسية الفرنسية، تركزوا في المدن الكبرى كمدينة الجزائر وعنابة وقسنطينة<sup>(26)</sup>.

يعدّ المستوطنون في نظر بعض المؤرخين العنصر الثاني بعد المسلمين الجزائريين، لأنهم كانوا أساس التطور والتحضر الذي عرفته المنطقة حيث بلغ عددهم في الجزائر 156.900 مستوطن ما بين سنتي 1946م إلى 1947م<sup>(27)</sup>.

وقد اعتمدوا اعتمادا كبيرا على الزراعة كمورد أساسي في اقتصاد البلاد وفي الدخل السنوي الذي كان يقارب الدخل في فرنسا ذاتها، وظهر منهم أثرياء كثيرون أمثال هنري بوجو "الملقب بملك النبيذ، دارمون دبيتان" سنة 1940م و"سوستيل جاك" سنة 1950م.

## توزيع الأوروبيين والجزائريين في القطاع الزراعي:

| الأوروبيون | الجزائريون |                                |
|------------|------------|--------------------------------|
| 17200      | 503800     | الملاكون والفلاحون الملاكون :  |
| 5700       | 1438300    | عدد من يعينهم من عائلاتهم:     |
| 900        | 2100       | المستثمرون لقاء نسبة المحصول:  |
| 300        | 800        | أصحاب المزارع:                 |
| 000        | 57600      | الخماسون:                      |
| 24100      | 2002600    | المجموع:                       |
| 100        | 24400      | العمال الزراعيون غير الدائمين: |
| 1600       | 257500     | العمال بأجر يومي:              |
| 200        | 77100      | العمال الدائمون:               |
| 3100       | 108800     | المنظرون:                      |
| 2000       | 2300       | الإداريون:                     |
| 8400       | 571000     | المجموع:                       |
| (28) 32500 | 2573600    | المجموع الكلي:                 |

من خلال هذا الجدول نستخلص ما يلي:

- معظم الأراضي الجيدة ذات المردود الوفير كانت بحوزة المالكين الأوروبيين طبقا للقوانين والتشريعات الفرنسية، حيث بلغ إنتاج القمح ما بين 1945م إلى 1954م 6.909.477 قنطار، وبذلك نلاحظ أن المناطق المستثمرة قد بلغت مساحتها أكثر من 500 هكتار أي بنسبة 40% من مجموع الأراضي المستثمرة.

- لجأت الحكومة الفرنسية إلى تخفيف العقوبات والأحكام في حق المساجين الفرنسيين، بينما قامت بتعويض هؤلاء المتبذين في مجتمعاتهم في أعمال المزارع في الجزائر (29).

- إن التباين الطبقي الخاضع للشروط الاقتصادية بين المستوطنين والمسلمين الجزائريين قد حدد طبيعة العلاقة بين الفئتين، والتي اتسع حجمها وتعمق غورها لتجعل الجزائريين الذين عاشوا الفقر والجهل والجوع ينتفضون ويتورون لتبديل هذه المفارقة وطرد المحتل من الوطن، وقد ظهرت هذه المفارقة بين الطرفين بالنظر إلى التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية، التي فرضها المحتل لاسيما في محاربة الاحتلال الفرنسي للشخصية الجزائرية من خلال:

- 1- تمكين أعضاء الجالية الأوروبية من الاستحواذ على مصادر الثروة الأساسية في البلاد (الأرض، التجار، المال...)، مما نتج عنه الفقر بشكل واسع بين الجزائريين الذين أصبحوا يكونون طبقة عاملة في مشاريع الاستعمار المختلفة بضمن زهيد.
  - 2- حرمان الجزائريين من الامتيازات الاجتماعية التي يتمتع بها الأوروبيون في الجزائر مثل المنح العائلية والضمان الاجتماعي والعلاج والتعليم .
  - 3- إهمال القرى الجزائرية والأحياء التي يسكنها الجزائريون في المدن من الخدمات الاجتماعية الأساسية، مما نتج عنه انتشار الأمراض والجهل ومختلف المشاكل الاجتماعية بينهم<sup>(30)</sup>.
  - 4- وإذا تبعنا سياسة المعمرين منذ الأيام الأولى للاحتلال، فإننا نجد أنها قد سارت في خطوط متوازية تلتقي كلها في النهاية عند نقطة واحدة، وهي الحو الكامل للشخصية العربية والإسلامية عن المجتمع الجزائري<sup>(31)</sup>.
- وقد حقق المعمرون مطلباً من أهم مطالبهم الكبرى، وهو فتح المجال للاستيلاء على أراضي العرش بواسطة قوانين زجرية<sup>(32)</sup>، وهذه القوانين تعدّ انتصاراً للغرباء في البرلمان الفرنسي على المسلمين الجزائريين.
- خاتمة: لقد كرس الاستعمار الأوروبي الفرنسي في الجزائر وفي عاصمتها تراكيب اجتماعية بين الطبقات المختلفة كانت تؤلفه هو نفسه في مجتمعاته الأصلية، على أن الطبقة التي استفادت من هذا التنوع الجديد هي الطبقة الأولى التي ميزها الكولون بإسهاماتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية، فكلما كانت آفاقهم تزداد إشراقاً كانت آفاق المسلمين الجزائريين تزداد اكفهراراً وحياتهم بؤساً وشقاءاً.
- وفي هذا المضمار علينا أن نطرح بعض التساؤلات عن هذه القضية في الشكل التالي:
- ماهي حصيلة التمدن المزعوم طيلة 124 سنة من الاحتلال الكولونيالي (1830م - 1954م)؟
  - لماذا تعرض الجزائريون إلى الإبادة العرقية والإذلال وسلب أراضيهم وتحويلهم إلى ما تحت البلوريتارية طيلة هذه الفترة وحتى الاستقلال؟
  - أكان الهدف هو الانتقام لشرف فرنسا كما ادعت حينما أشار الداي حسين بمروحه على القنصل ديفال "Duval" أم هو الانتصار للمسيحية وفرنسا على الإسلام والجزائريين؟

ولست أؤمن بأن المجتمع الجزائري قد انكسر واستسلم لقدر الاستعمار الفرنسي، وصار بعد ذلك شعبا علمانيا منتصرا متفرنسا كما ذهب إلى تأكيده المؤرخ "شارل روبير أجيرون" حينما قال: «لم يصمد المجتمع الإسلامي أمام توسع الاستيطان فضعف المسؤولون عنه فانهار تماما وتسارع بعد عام 1870م انخراط العائلات الكبرى».

الهوامش:

- 1 - Karl Ritter, Les races en Afrique et dans Alger, Article, p211.
- 2- هذه إحصائيات غير نهائية لأن العصر الفرنسي قد تعزز بعد ذلك باليهود بمقتضى قانون كريميو 1870م. أنظر:
- Population d'Alger, carton S3/ 13-20, p10.
- 3-Moncer Roussi, Population et société au Maghreb (horizon maghrébin), office des publications universitaires, TUNIS 1983, p 68.
- 4- Documents Nord Africains, Etudes sociales, Nord Africain, 2 année N° 25/26, Paris, 20 Aout 1951, p 03.
- 5- Xavier Yacono, Histoire de l'Algérie (de la fin de la régence Turque à l'insurrection de 1954), édition de l'Atlantique, Paris, 1992, p 22.
- ويرى السيد يكونو أن مصطلح الكولون كان يعني ملاك الأراضي (Propriétaires de terrains), أنظر: Xavier Yacono, op cit, p 214.
- 6- عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي (دراسة تاريخية مقارنة المغرب العربي - فلسطين - الخليج العربي)، سلسلة عالم المعرفة، كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد: 71، 1983، ص 09.
- 7- مجدي حماد، النظام السياسي الاستيطاني (دراسة مقارنة: إسرائيل وجنوب إفريقيا)، بيروت 1981، ص 29، 28.
- 8- إن صدور هذا المرسوم جاء في الوقت الذي بدت فيه هزة المقاومة الجزائرية وشبكة وكان هذا الإجراء انتقاما من القبائل التي اشتركت بالمقاومة. --- 9- صلاح العقاد، المغرب العربي، القاهرة، سنة 1980، ص 135.
- 10- علينا ألا ننفل دور الجزائر الاقتصادي في القديم والحديث، لأنها كانت قد مونت فرنسا وأوروبا أيام الدولة النوميديّة بمادة القمح، وكذلك فعلت حينما زودت فرنسا بمادة في عهد الثورة الفرنسية 1789 وبعدها. --- 11- وأعني بذلك كامل الدول المغرب العربي وفي مقدمتها تونس والمغرب وليبيا، وكان استيطان الجزائر تجربة ونموذجا سعت من خلاله فرنسا إلى تعميمه لاحتلال كامل المنطقة لمزيد من الإطلاع أنظر: منجي الصياد، من ملاحم التطور الفكري في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد: 12، فبراير 1980، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 28، 29.
- 12- مغنية الأزرق، نشوء الطبقات في الجزائر، ترجمة: سمير كرم، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1980، ص 67.
- 13-Caom, Documents Nord Africains, Etudes sociales Nord Africaines, 2 année N° 25/26, Paris, 20 Aout 1951, pp 4, 5.
- 14-Louis Milliot, Gouvernement de l'Algérie, les cahiers du centenaire, comité national métropolitain du centenaire de l'Algérie en 1930, p 45.
- 15- Mèlia Jean, Dans la patrie française, la patrie algérienne, éditions le moine, paris, 1980, p 189.
- 16-Aimé Dupay, l'Algérie dans les lettres d'expression française, imprimerie le robert, paris, 1988, p 118.
- 17-Yahiaoui Messaouda, Société Musulmane et Communautés Européennes, L'Algérie des 20 siècles (Réalités, Idéologie, Mythes, stéréotypes) Editions Houma, Alger, 2005, p 156.
- 18-Yahiaoui Messaouda, op cit, p 157.
- 19-Albert Camus, chronique Algériennes, Les éditions syndicales, Paris, 1951, p 66.
- 20-MONCER ROUISSI, Population et société au Maghreb, op cit, pp 64,65.
- 21-Ibid., p27.
- 22- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 148. --- 23- أنظر: الأقليات الأوروبية في الجزائر بين الأمل والغد، جريدة المجاهد، 1959/09/21.
- 24- Jean son, collette et francis, L'Algérie Hors la Loi, Paris, seuil, 1955, P165.
- 25- Jean son, op cit, P 165.

26- Philippe, Hernandez , Ceux Qui étaient Les Pieds Noirs – la Neuf , N° 08 , dec, 1956, p34.

27- ناهد إبراهيم دسوقي، - ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشأ المعارف، الإسكندرية، مصر، 2001، ص 73.

28- آلان سافاري، ثورة الجزائر، ترجمة: نخلة كلاس، مطابع إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي، دمشق، سنة 1961، ص 12، 63.

29-J.P.KREMER, Projet De La Colonisation De L'Algérie, Librairie Agricole de M.Dusacq Paris, 1948, p 13.

30- تركي رابع، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 103.

31- يحياوي رحيم، دراسة مستقبلية في الاستيطان والتوطين ( الاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركة الصهيونية في فلسطين)، جامعة باجي مختار، عنابة، 2006، ص 37. --- 32- صالح عباد، مرجع سابق، ص 77، أنظر كذلك:

- Charles de Galland, Alger et l'Algérie, Achevé d'imprimer par l'Imprimerie Algérienne à Alger en Septembre 1924, p25.

**ABSTRACT:** Plenty the external challenges was for which be exposed to her tall history killed across her then what from nation could that contains and the external challenge digests, and make sure estimated her on the continuity with life, notched was on him, nor the Arabic nation ended. If the big challenges were in attacked her the enmity on the presence and the identity the ability on the Algerian response was bigger and the Islam from this ability consolidated and gave her possibility of bigger and deepens against the faithful continuation challenges on the continuity and the attendance and the keeping in the Arabic Islamic personality, distinguished print in history local and humanitarian and the two civilized worlds. It is nor possible sharpest that ignores her the important national fanaticism and the two debts informed from. On us as two Algerian historians that distinguish between a lot of the writings especially from her the formation is foreign general and European especially, then there disagreement in nature the foreign writings, then the dealing be necessary with her with respect to the specification (there American writings and 'anjlyzyl, French...) Consequently be necessary distinguish between this writings firstly for disagreement of composed her and secondly for chronically ill disagreement her of writing that is there staging in this writings of which disagreement purpose of all stage stages of the foreign formation explains. Where two huge and assorted balances form this historic production the foreigner, as' that authors him differ with respect to the position, so there military, presidents of the delegations, the merchant, the professors and within these plateau from they were for academic interests, and from them from income of Algeria or Moroccan state other in his characteristic disguised and income krdynaalaa examples laafyjry or pastor of examples jwstynaaz in countries of Morocco farthest who man of debt in area of licorice worked as for a period of 15 years, in addition to that there is from characteristic of officer came in intelligence. Abundance of this production indicates on.